



لا يوجد تقدم في الفلسفة..

Eric Dietrich

ترجمة : أ.د. راشد العبد الكريم



سلسلة دراسات تصدر عن مركز دلائل - دراسة (٣) ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

www.dalailcentre.com

التعريف بالمؤلف: Eric Dietrich

يُعد البروفيسور **إيريك** من القلائل الذين جمعوا بين التخصص في الرياضيات، وعلوم الحاسب (خاصةً الذكاء الاصطناعي)، وعلوم الفلسفة والمنطق، يعمل حالياً أستاذاً في الفلسفة بجامعة **بينجهامبتون** Binghamton بنيويورك منذ ٢٠٠٣م، ويدير تحرير مجلة (الذكاء الاصطناعي التجريبي والنظري). وخلال مسيرته الأكاديمية منذ ١٩٧٢م وقد حاز العديد من الدرجات العلمية والدكتوراه، وكذلك الدراسة والتدريس في أكثر من ولاية أمريكية مثل جامعة ولاية وايومنغ Wyoming وأريزونا Arizona وكولورادو Colorado ونيوميكسيكو New Mexico.

يهتم البروفيسور **إيريك** اهتماماً خاصاً بنقاط الاشتباك والتقاطع بين علوم المعرفة (الابستمولوجي) والمنطق والغيبيات (الميتافيزيقا) وفلسفة العقل[(١)].

له كتب ومراجعات ومقالات في مواضيع الدين والعلم (خاصةً نقد النظرة التقديسية للعلم كدين لهذا العصر)، وفي مواضيع تعريف الوعي الإنساني والتفريق بينه وبين وعي الآلات والروبوتات.. من أشهر أعماله:

The Naturalness of Religion and the Unnaturalness of the World (2015) - Philosophy's Future (2011) - Consciousness and the Limits of the Knowable (2004). وغيرها

(1) يمكن مطالعة كلمته المختصرة عن نفسه من هنا:
http://bingweb.binghamton.edu/~dietrich/About_Me.html
عن مسيرته الأكاديمية الكاملة وأعماله من هنا:pdfأو تنزيل ملف
http://bingweb.binghamton.edu/~dietrich/vita%20ESD.Dec2017.pdf

التعريف بالمترجم: أ. د. راشد بن حسين العبد الكريم

تخصص أ. د. **راشد** في مجال التربية (خاصةً الاهتمام بالمناهج وطرق التدريس) بجانب العمل في تدريس اللغة الإنجليزية لـ ٨ سنوات.

حيث حصل على بكالوريوس اللغة الإنجليزية من كلية التربية بجامعة الملك سعود ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ثم تحصل من جامعة أوهايو بأمريكا على ماجستير إشراف تربوي ١٩٩٩م، ثم دكتوراه في مناهج وطرق التدريس ٢٠٠١م.

وقد شغل الكثير من المناصب في مجال عمله، منها مدير عام للتوجيه والإرشاد ثم مدير عام للإشراف التربوي بوزارة التربية والتعليم، كما يعمل حالياً أستاذاً في المناهج وطرق التدريس والإشراف التربوي بجامعة الملك سعود كلية التربية.

وقد حصل كتابه (البحث النوعي في التربية) على جائزة وزارة الثقافة والإعلام للكتاب لعام ٢٠١٣م.

له اهتمام شخصي بالفلسفة، وله مؤلفات عديدة في مجال التربية، والتدريس الناجح، والتدريب، والتخطيط. نذكر من كتبه:

طريق النجاح: دليل عملي للتفكير والتخطيط والإنجاز - ثلاث وثلاثون خطوة لتدريس ناجح – التدريب أسسه ومهاراته – كيف تؤلف كتاباً ؟ - طريقك للنشر في المجلات العالمية - الإشراف الداعم للتعلم (ترجمة)[١].

---

(١) لمزيد من المعلومات عنه وخبراته وكتبه من الرابط التالي: https://fac.ksu.edu.sa/rkareem/cv



لا يوجد تقدم في الفلسفة[1]...

There Is No Progress in Philosophy.

Essays in Philosophy, Volume 12, Issue 2, Philosophy Future:

Science or Something Else?

المُلخص:

ما عدا اصطباغها بحداثة القرن العشرين، في صورة المنطق وفلسفة اللغة، فإن الفلسفة هي نفسها كما كانت من قبل، لم تتقدم قط شيئاً.

فنحن الفلاسفة نتصارع مع المشكلات ذاتها تماماً التي تصارع معها [فلاسفة] ما قبل سقراط. ومع ذلك فأغرب (أشنع) من هذا الزعم هو الإنكار الصريح تماماً لحقيقته الظاهرة من جهة كثير من الفلاسفة الممارسين. سوف تُناقش رؤية عدم التقدم ويُدافع عنها هنا. وسيُشخّص إنكارها على أنه شكل من أشكال (إنكار المرض) anosognosia وهو حالة عقلية حيث ينكر الشخص المصاب أن لديه مشكلة. وسيتم أيضاً فحص نظريتين لفيلسوفين كبيرين يدعمان رؤية عدم تقدم الفلسفة. وسيقدم القسم الأخير توضيحاً لعجز الفلسفة عن حل أي مشكلة فلسفة، على الدوام. وستختم الورقة ببعض التأملات حول مستقبل الفلسفة.

---

(١) تمت الترجمة بإذن من المؤلف.



١. كيف تشبه الفلسفة العلم ؟

أنا بروفيسور في قسم الفلسفة. وأغلب زملائي في مجال الفلسفة يدرسون الأخلاق بشكل أو بآخر. ولدينا في قسمنا كثير من العواقبيين consequentialists، وعدد من الوجوديين deontologists والأخلاقيين الأساسيين moral essentialists، وعدد من أخلاقيي الفضيلة وقليل من النسبيين. وهو مكان معهود أن تكون فيه هذه الرؤى views، على الأقل في صيغ معينة مشهورة، غير متوافقة مع بعضها. وبالتأكيد فكثير من زملائي يعتقدون هذا. وأغلبهم أيضاً يعتقد أنه مُحقّ. وحيث أنهم كذلك يعتقدون باللاتوافقية، فإنهم يعتقدون أن زملائهم مخطئون. إن العواقبيين (وهي مجموعة لا أنتمي لها) بوجه خاص صاخبون (صدفة، ولا شك). فهم يقومون بكل حماسة وإخلاص بالتوضيح لبقيتنا بأننا مخطئون، ويقدمون لنا الحجج قديمها وجديدها لدفعنا لتغيير آرائنا. ونحن لم نتغير قط.

وهذا لا يعني القول بأن حججهم لا تؤثر فينا. فمثل حال الفلاسفة في كل مكان ومن كل توجه، نحن، وبخلاف العواقبيين، متأثرون بشدة بحجج زملائنا المؤيدة للعواقبية، فهي تجعلنا نميز ونُظهر المقدمات premises الخاطئة والسقطات في استدلال زملائنا. وبالطبع عندما نحدد تلك الأخطاء فإن العواقبيين، مثلنا، لا يغيرون آراءهم، وإنما يتجمعون بعزم أكبر ويبدأون من جديد.

إن الدين أيضاً مهم في قسمي. بل هنا الأمور أكثر حدة pointed، وهو أمرٌ ظاهرٌ من حقيقة أن النقاشات حول الدين أكثر أدباً من النقاش حول الأخلاق. يعتقد المؤمنون أن الملحدين ضالين، والعكس صحيح. ويرى البوذي، بأسف،



أن كليهما حيران، وسيتخلص من حيرته بعد الكثير من حلقات الموت وإعادة الولادة. وحيث أن الدين يتضمن التزاماً وجودياً (أنطولوجياً) راسخاً، فإن الاختلاف هنا حول مَن هو المحق مِن المخطئ هو خلاف حول البنية الواقعية actual للكون ومحتواه، فهو اختلاف حول ما نوع الكون الذي نعيش فيه. والحجج هنا غير مثمرة أكثر حتى من الحجج الأخلاقية التي نوقشت آنفاً.

هاتان الحالتان – الأخلاق والدين – مثالان للطريقة التي يتصرف بها الفلاسفة وتصرفوا بها منذ أن ظهرت الفلسفة أول مرة في البشر، والتي ربما كانت معاصرة لظهور اللغة. يخالف الفلاسفة بشدة بعضهم بعضاً، ونادراً ما يغير الحِجاج رأي أي فيلسوف (وإن كان في بعض الأحيان يوقظ الفيلسوف من غفوته الدوجمائية)، ويظنون أن الآخر مخطئاً وقد وقع في الخطأ، بدلاً من الظن بأن الآخر ربما لديه رؤية مختلفة للحقائق ذات الصلة.

في سلوكهم هذا، يتصرف الفلاسفة تماماً مثل العلماء (وعلماء الرياضيات) تقريباً. ولرؤية ذلك، قارن الوضع في قسمي مع قسم الأحياء في الجامعة. لدينا في جامعة بيرمنجهام عالم أحياء شهير - **ديفيد سلون ويلسون** – طور لعقود أدلة وقدمها في سبيل إضافة مهمة لنظرية التطور المعاصرة: نظرية انتخاب المجموعة group selection. في نظرية انتخاب المجموعة تعمل ضغوطات الانتخاب ليس فقط على الأفراد (أو الجينات)، إنما أيضاً على المجموعات ذات الأفراد المتشابهين، وتدعى مجموعات الصفات. يستخدم ويلسون انتخاب المجموعة لتفسير أشياء مثل تطور الإيثار altruism والتعاون، الذي يعمل له انتخاب المجموعة بشكل جيد، وفيما يبدو هو أفضل من النماذج القائمة على انتخاب الجين. إن رؤية ويلسون أكثر تعقيداً من هذا

الوصف المختصر؛ فمثلاً انتخاب المجموعة ما هو إلا جزء من نظريته الأكبر المسماة نظرية الانتخاب متعدد المستويات، والتي تفترض حدوث الانتخاب على مستويات متعددة مختلفة: الجين، والخلية، والكائن، والمجموعة (انظر: Sober and Wilson, 1998; Wilson, 1975; Wilson and Sober, 1994; and Wilson and Wilson, 2008). وعلى أي حال فهذا يكفي لما نقصده.

رُفض انتخاب المجموعة تماماً وهوجم بعنف من أمثال ريتشارد دوكينز ودانيال دينيت، وكان رفضهما إما على أنه خطأ أو على أفضل الأحوال أنه غير مهم (انظر، على سبيل المثال: Dawkins, 1994 and Dennett, 2006). وقد تم حظر انتخاب المجموعة من الأحياء التطورية منذ أواخر الستينيات من القرن العشرين، وغالباً استناداً إلى جورج وليام (Williams, 1972) – الأسباب مركّبة واجتماعية وليست علمية. لكن بفضل **ديفيد ويلسون** وعلماء أحياء آخرين مثله، فقد صار لانتخاب المجموعة عودة واحتلت مكانة في النظرية التطورية. واستمر دوكنز ودينيت غير مقتنعين بحجج ويلسون. ويعتقد ويلسون أنهما مخطئان، ويعتقدان أنه مخطئ. ولكل حجة يسوقها ويلسون يزيد دوكينز ودينيت عملية التمييز distinct-making وإيجاد الأخطاء fault-finding لدحض ويلسون، والعكس يحدث أيضاً. و [هنا] يتذكر الإنسان المقولة القديمة: **"تُربح المناظرات العلمية فقط عندما يموت المتخاصمون وينشأ جيل جديد يتبنى النظريات الجديدة"**. فإذا انتصرت بالفعل نظرية الانتخاب (والمستويات المتعددة) أخيراً، فذلك لأن جيلاً من علماء الأحياء قد تبنوها.

ومن الملفت للنظر كم أن هذا شائع في العلم. وفيما يبدو فإن إنشتاين قد مات معتقداً أن الميكانيكا الكمية كانت خاطئة (بالرغم من أنه ساعد في إيجادها). وقد مات هنري بونكاري، وليبولد كرونِكر، وبراور، وفيتجشتاين معتقدين أن نظريات جورج كانتور في الأعداد ما بعد النهائية transfinite ليست فقط خاطئة، وإنما "مرض خطير" بعبارة بونكاري. وبالرغم من قلة عددهم فإن عدداً من العلماء المعتد بهم إلى اليوم ينكرون النظرية التطورية، ويفضلون بدلاً منها نوعاً من نظرية (الخلق بواسطة عليم) creation-by-intelligent-agent. ولا شك أنهم سيموتون وهم متمسكون بمثل هذه المعتقدات (والعكس صحيح بالنسبة للتطوريين).

وهناك، بالطبع، أمثلة مضادة. فنظرية روبيرت باكر أن الديناصورات كانت ذوات دم حار وسريعة وذكية هي الآن (مع بعض التغيير) الرؤية المتقبّلة، وكانت الرؤية المتقبلة في أثناء حياته. إلا أن هنا سخرية مغتفرة expiating irony : فقد رفض باكر قبول نظرية تأثير الكويكبات والمذنبات في انقراض الديناصورات، هذا بالرغم من ما نشر في [مجلة] العلم (Science) من أبحاث أساسية تؤيد بقوة تلك النظرية (Schulte, et al.2010).

إذن، لا أحد يستطيع إقناع خصمه. وكل ما يأمل الشخص أن يعمله هو أن يقنع الجيل الشاب القادم. والنظريات الجيدة، والأفضل إنما تفعل ذلك فقط. وهذا السلوك يكون ذا معنى على المدى البعيد، وذلك أننا إذا تنازلنا بسهولة عن نظرياتنا المحببة، فلن نختبر نظرياتنا بشكل كافٍ ونؤكدها لتنال بجدارة التشريف المرغوب: الصواب. ولذلك فالعلم يتقدم.

لكن ماذا عن الفلسفة؟ فهي بوضوح تشبه العلم هنا: لا أحد يستطيع إقناع خصمه، إلخ، إلخ. فهل هي تتقدم؟

لا، هي لا تتقدم.

٢. كيف تختلف الفلسفة عن العلم ؟

الفلسفة لا تخطو، حتى ولا بتعثر، إلى الأمام. الفلسفة لا تتقدم إلى الأمام مطلقاً. فهي تماماً كما هي منذ ٣٠٠٠ سنة، في الحقيقة كما كانت منذ البداية. وما تفعله هو أن تكون معاصرة: ويخلط الفلاسفة هذا مع التطور، ومع تحقيق التقدم. فالبقاء معاصراً ليس تحركاً للأمام أكثر من كون البقاء مواكباً لأحدث الأزياء أو الموسيقى تحركاً نحو عدالة اجتماعية أكبر.

أعلم أن دعواي هذه تصدم الفلاسفة ويرون أنها خطأ بدهي، وجنون وشيء شنيع. وأنال نوعين من النظرات. النوع الأول الحيرة التامة، كما لو أنني قد أكدت بإخلاص (واحد زائد واحد يساوي ثلاثة) والنوع الآخر نظرات الاشمئزاز كما لو أنني قد أكدت بإخلاص (الرِّق مطلوب أخلاقياً).

ربما تقول، وكأنك تحاول تصحيح شخص يعتقد أن القمر مصنوع من الجبن الأخضر: **"انظر، نحن جميعاً نظن أن الرق غير أخلاقي. في الحقيقة، نحن نعلم أنه كذلك. كيف لا يكون ذلك تقدماً فلسفياً؟ كيف لا يكون ذلك تقدماً في الأخلاق** ethics **التي هي فرع من الفلسفة" ؟**

أنا لم أقل إن المجتمع لم يتقدم. إنه يتقدم. فنحن الآن واضحون جداً فيما يتعلق بعدم أخلاقية الرق. (بشكل عام، بالرغم من أن الرق غير قانوني في كل بلد في



العالم، فإن هناك من الرق الآن أكثر من أي وقت مضى، وهو تجارة بملايين الدولارات). لكن الفلسفة لم تكتشف لا أخلاقية الرّق. فالفلاسفة لم يقودوا الهجمة ضد العبودية عندما كان يمارس علناً وبشكل شائع. الذي حدث أن القادة السياسيين والنشطاء الاجتماعيين (الذين لم يكونوا فلاسفة، وإنما نشطاء اجتماعيين) غيروا الطريقة التي كان يفكر بها الكثير حول الرق إلى درجة تغيرت فيها الاتجاهات attitudes، وطُبقت فيها القوانين، فتغير المجتمع والثقافة نتيجة لهذا. وكان على الفلاسفة اللحاق بذلك. وهذا صحيح في مجال الأخلاق بشكل شامل. فباستثناء عدد قليل وقصير من الكتابات (مثل كتابات مِل حول حقوق المرأة، ولوك حول الحرية الفردية والحقوق المتساوية)، فإن الفلاسفة كانوا وما زالوا ليسوا في طليعة أي تقدم في الأخلاق وقواعد السلوك morality and ethics.

فلم يكتشف الفلاسفة أو يبدأوا الحملة لحقوق الحيوان، والحقوق المدنية، وحقوق المعاقين، والمهمشين [المحرومين]، فلم يقوموا بالحملة أولاً قبل الآخرين لمزيد من التنوع والاحترام لجميع البشر ولكل الحياة. كان عليهم اللحاق بتلك الأفكار، وبصراحة فكثير منهم ما زال يتأخر في الخلف.

لكن قد تجيب: **"ولكن مع ذلك فالفلاسفة الآن يعلمون أن الرق خطأ. وهذا تقدم، كما اعترفت بوضوح، لذا فالفلسفة تتقدم".**

حسناً... ولماذا كان الرق لا أخلاقي ؟ لن يُجيب فيلسوفان على هذا بالطريقة نفسها. حتى في داخل مجموعة العواقبيين في القسم الذي أعمل فيه هناك عدد مختلف من التفسيرات فيما يخص لماذا الرق غير أخلاقي ؟ فبمعنى عميق

ومهم، نحن لا نعلم لم الرق غير أخلاقي. نحن نعلم فقط أنه كذلك، وهذا ما يعرفه الكثير. فوظيفة الفلسفة – إن كان لها وظيفة – هي أن تفسر أو تقول لمَ الرق غير أخلاقي. ولم تقم بذلك بعد. (ولماذا لم تقم بذلك ؟ سيكون موضوع القسم ٦).

إن المجتمع لا يرجع إلى فلاسفته لتحصيل فهمٍ أعمق للقضايا الأخلاقية والسلوكية[١] moral and ethics. فلا يستطيع المجتمع عندما يكون في حاجة ماسة أن يطلب المساعدة من فلاسفته. فسؤال (ماذا يجب أن نفعل ؟) سيجاب عنه (حسناً، هذا يعتمد [على الوضع]. فمن جهةٍ يمكنك التفكير في زيادة الخير/ الصلاح good (بأي من الطرق الكثيرة المختلفة، وباستخدام أي من التعريفات لـ (الخير أو الصلاح)، لكن من جهة أخرى يمكنك التفكير في أن عملاً معيناً يبدو للبعض داخلياً خطأ ولآخرين داخلياً جيد / خير. ومن جهة ثالثة ربما كانت النسبية الأخلاقية صحيحة في النهاية. (فمن الصعب إعطاء رأي، في الحقيقة).

هنا نقل ذو علاقة من **جيمس ستيربا** (٢٠٠٥):

> تبدو الأخلاق [ethics] مختلفة عن مجالات البحث الأخرى. فلا نستطيع أن نجد مناصراً معاصراً لبطليموس (١٠٠- ١٧٠ ق. م) ولا لكوبرنيكوس (١٤٧٣- ١٥٤٣م) ولا حتى لإسحاق نيوتن (١٦٤٢- ١٧٢٧م)، الذين ادعوا كلهم أن لديهم أفضل نظرية لفيزياء الحركة السماوية celestial motion أو المذهب التجاري أو المذهب

(١) الإثيكس (قواعد السلوك) قواعد / قوانين السلوك المعترف بها فيما يتعلق بطبقة معينة من الناس للسلوك الإنساني أو مجموعة ثقافية معينة.



الطبيعي[١] كما كان في القرن الثامن عشر، والجميع يدعون بامتلاك أفضل نظرية اقتصادية. لكننا نجد مناصرين لأرسطو (٣٢٢- ٣٨٤ ق. م)، وإيمانويل كانط (١٧٢٤- ١٨٠٤م)، وجون ستيوارت مِل (١٨٠٦- ١٨٧٣م)، فجميعهم، على سبيل المثال، يدعون أفضل نظرية في الأخلاق [ethics]. وبالطبع هناك اختلاف كثير في مجالات البحث الأخرى، لكن درجة الاختلاف تبدو أكبر بكثير في مجال الأخلاق.

ولقد أصاب **ستيربا** عين الحقيقة. ومن الواضح أن فلاسفة آخرين أيضاً يرون أنه على الأقل بعض الفروع من مجالاتنا المختارة لا يحدث فيها تقدم. الإشكال مع رؤية **ستيربا** أنها تتوقف عند الأخلاق. تعاني الميتافيزيقيا ونظرية المعرفة (الابستميولوجي) وكل مجالاتها الفرعية نفس المصير تماماً (أنظر أيضاً: McGinn, 1993 and Nagel, 1986) وبخلاف العلم تماماً، فلا جزء من الفلسفة يتقدم. فالفلسفة، باستثناء بعض العصرنة، هي نفسها تماماً الآن كما كانت من قبل. فلم تتقدم ذرة واحدة[٢].

(١) المذهب الطبيعي أو الفيزيوقراطية Physiocrats هو مذهب اقتصادي طوره مجموعة من الاقتصاديين الفرنسيين التنويريين في القرن الثامن عشر، والذين اعتقدوا أن ثروة الأمم مشتقة فقط من قيمة "زراعة الأراضي" أو "تنمية الأراضي" وأن المنتجات الزراعية يجب أن تكون مرتفعة الثمن بعكس مذهب التجاريين المعتمد على المعادن والذهب والفضة.

(٢) "... لا يمكننا القول بأن الفلسفة قد حققت قدراً كبيراً من النجاح في محاولاتها الرامية إلى تقديم إجابات حاسمة على الأسئلة التي تطرحها. [... فإذا قمت بطرح سؤالاً على فيلسوف: أي معرفة قدمتها الفلسفة ؟] "فإن كان صريحاً سيعترف بأن دراسته لم تحقق من النتائج الإيجابية مثلما حققته العلوم الاجتماعية. صحيح أن هذا يعزى جزئياً إلى أنه بمجرد أن يصبح من الممكن تكوين معرفة محددة بشأن أي موضوع، فإن هذا الموضوع لا يعود يسمى فلسفة، بل يصبح علماً منفصلاً..." [قد لا يسلم هذا التبرير الأخير] رسل، مشكلات الفلسفة، (رسل، ٢٠١٧) ٣٠١.



٣. أرسطو يأتي للقرن الواحد والعشرين

تخيل أن **أرسطو**، بينما يسير حول قاعة المحاضرات يصادف حالة التفاف الزمن time-wrap فيقفز إلى يومنا الحاضر، في جامعة مشهورة في مكان ما في دولة تتحدث الإنجليزية، مع قدرته على الحديث بالإنجليزية، مرتدياً ملابس حديثة، ولا يصبح مختلاً بسبب هذا كله. ولحرصه على اكتشاف حالة المعرفة يجد محاضرة فيزياء فيجلس فيها. فيصدمه ما يسمع. الريشة وكرة الحديد تسقطان بنفس السرعة في الفراغ؛ فكونها أثقل لا يعني سقوطها بشكل أسرع، شيء لا يفهمه **أرسطو**. ويرى **أرسطو**، مع بقية القاعة، التحقق التجريبي لهذا من القمر (من القمر؟!؟!؟) يقوم بها الضابط **ديفيد سكوت** من سفينة أبولو ١٥. ونفس المعادلات (المعادلات؟!؟!؟) التي تفسر لماذا تسقط التفاحة على الأرض تفسر كيف يبقى القمر في مداره حول الأرض، وكيف تبقى الأرض في مدارها حول الشمس (مدار؟!؟!؟). ويتعلم عن الأشياء الغريبة في ميكانيكا الكم quantum mechanics. وبقدر ما يسمع بقدر ما تزداد صدمته. وأخيراً يختفي. يظهر مرة أخرى في مقرر (علم الكونيات) cosmology حيث يتعلم، التعليم الابتدائي، أن المذنبات والنيازك ومجرة درب التبانة ليست ظاهرة جوية كما استنتج. وكانت مفاهيم مثل الانفجار العظيم، والنسبية، وحجم الكون، وعدد المجرات، والمادة السوداء، والطاقة السوداء، ... كلها فوق إدراكه. وفي مقرر الأحياء يتعلم أن قدرات الكائن الحي living thing's potential، مادته its matter، ليست تفسيرية البتة، كما كان يظن، إنما بدلاً من ذلك تعلم الجينات والأحياء التطورية. كما عرف أيضاً

أن فكرته عن التولد التلقائي[1] (Spontaneous generation) ما هي إلا خطأ محض – ليست حتى قريبة من الصواب. ويتعلم عن التطور والاكتشاف الذي تتعلق به كل الحياة على كوكب الأرض. ومع استمرار الدرس يختفي مرة أخرى.

وبعد أن يأتي أيضاً، يستنتج بتأن أن هذا العالم الحديث وهذا الزمن المتقدم قد تجاوز معارفة ومعارف وقته تماماً. ويشعر أنه متقزم أمام تقدمنا المعرفي. ثم، بحزن، يمشي متثاقلاً إلى درس فلسفة - وإذا به درس ميتافيزيقيا. وهنا سمع المحاضر يتكلم عن الجوهر، وعن الموجود من حيث هو موجود being qua being، وعن أعم بُنى تفكيرنا عن العالم. وهو يعرف تماماً ما الذي يتحدث عنه الأستاذ. ورفع **أرسطو** يده ليناقش بعض الأخطاء التي يبدو أن الأستاذ قد وقع فيها، وبعض الفروق المهمة التي لم توضح. ومع تقدم المناقشة يتراجع أستاذ الميتافيزيقيا قليلاً، لكنه أيضاً مسرور من ذكاء هذا الطالب (العتيق) وتفكيره. ثم يذهب **أرسطو** إلى درس الأخلاق حيث يتعلم عن الأهمية المعاصرة لما يبدو أنه يدعى "أخلاقيات الفضيلة". فيعرفها فوراً، لكن مرة أخرى يبدو أن البروفيسور قد أغفل بعض التفاصيل المهمة، وفشل في رؤية بعض الجوانب العميقة من تلك الرؤية. فيرفع **أرسطو** يده ....

لا شك أن قصة عودة **أرسطو** إلى الفلسفة إلى حد ما معقولة بالنسبة للقارئ (ربما باستثناء جزء السفر عبر الزمن). قد لا تكون أكثر من هذا، أو هي ذلك تماماً. ولكن هذا كل ما أريد. وحقيقة أن هذه القصة تحوي ولو نفحة من

---

(١) يشير التولد التلقائي Spontaneous generation إلى مجموعة أفكار قديمة بخصوص الظهور العفوي للكائنات الحية من دون الانحدار من الكائنات الحية المماثلة. فحسب التولد التلقائي يمكن للكائنات الحية أن تنشأ من مواد غير حية.



المعقولية تُظهر أن القارئ قد أدرك فرقاً أساسياً بين العلم والفلسفة. فمن منظور قرننا الحادي والعشرين نرى أن **أرسطو** لم يكن حتى قريباً من الصواب في أغلب أفكاره العلمية ونظرياته واستنتاجاته. فأعماله في العلم إنما هي [الآن] للمتعة التاريخية. ولكنه عملاق في الفلسفة إلى هذا اليوم. نستطيع أن نتعلم بقراءة أعماله الفلسفية.

هذا النمط من تجاهل العلم القديم لكن إعادة قراءة الفلسفة القديمة مرات ومرات يتكرر خلال تأريخ العلم وتأريخ الفلسفة. وهنا حالة أخرى. تأمل **إنشتاين** (١٨٧٩- ١٩٥٥م)، وفرجيه (١٨٤٨- ١٩٢٥م)، و فِتجنشتاين (١٨٨٩- ١٩٥١م). فأعمال الفيلسوفين الأخيرين [فريجيه وفتجنشتاين] تُقرأ بعناية إلى هذا اليوم، ليس فقط من قِبل الفلاسفة المتخصصين والمعتمدين، بل في محاضرات طلبة الجامعة، حيث تُدرس أعمالهم بحثاً عن الحقائق العميقة. ومع ذلك فلا يوجد فيزيائي يقرأ بحث **إنشتاين** لعام ١٩٠٥م، حتى بحثه الذي عن النسبية الخاصة، ولا يقرأون بحثه لعام ١٩١٦م عن النسبية العامة. وبالطبع فالنسبية الخاصة والنسبية العامة كلاهما لا يزال يُدرّس – فهما يعتبران العمود الفقري للفيزياء الحديثة وعلم الكونيات cosmology. وحيث إنها قد اختُبرت بعمق فنظريات **إنشتاين** تعتبر في الوقت الحاضر صحيحة. ولكن تماماً بسبب أن هذه النظريات تُعدّ صحيحة فلا أحد يقرأها في صيغتها الأولية. وبدلاً من ذلك يتم تدريس واستخدام نسخ منها أكثر سهولة رياضية ووضوحاً. وحيث إن نظرياته صحيحة فما قاله **إنشتاين** فعلاً لا يحتاج للجدل حوله. وفي المقابل، فنظريات فريجه وفتجنشتاين واستنتاجاتهما لا تُعد صحيحة، إنما تعتبر مثيرة للاهتمام ومهمة. ولذلك فالنظريات الأصلية ستُقرأ وتُفحص ... ويُتجادل



حولها. وعلى سبيل المثال، فتفسير كرِبك Kripke لفتجنشتاين (1982) تسبب في جدل قوي مع كثير من الباحثين من أنصار فتجنشتاين مستنكرين كتاب كرِبك والأفكار التي فيه (مثلاً: McGinn, 1984; Baker and hacker, 1984).

والنمط نفسه تماماً يتكرر مع تشارلز داروِن (١٨٠٩- ١٨٨٢) و جون ستيوارت مِل (١٨٠٦- ١٨٧٣). فاستنتاج داروِن يُعد صحيحاً، ولذا فلا حاجة للمعاناة حول ما قاله بالفعل. استنتاج مِل لا يُعد صحيحاً، بل ممتع ومهم. ولذلك فنحتاج فعلاً أن نعاني [لمعرفة] ما قاله حقيقة.

وتلخيصاً لما سبق، بالرغم من أن الكتب العلمية ذات الصلة قديمة، فإن النظريات، عندما تكون صحيحة، لا تكون [قديمة] (الحقيقة لا تشيخ بمر الزمن). لذا، فنحن ندرّس النظريات، التي نحدّثها بالأساليب الأفضل. إلا أنه لا توجد نظرية فلسفية صحيحة، أو على الأقل لا يوجد نظرية تُعتبر صحيحة من قِبل أغلبية مؤثرة وكبيرة من الفلاسفة. ولذا فليس لدينا ملجأ إلا المعاناة حول ما قاله الفيلسوف وتكراره برتابة. في حالة الفلسفة يبقى النص "جديداً"، من حيث إنه يبقى يُنشر ويُقرأ.

ماذا يمكن أن يفسر هذا التفاوت في التأريخ بين الفلسفة والعلم، فيما عاشه أرسطو العائد ؟ فقط شيء واحد: الفلسفة لا تتقدم. نعم، هي تتغير ببطء وتتحول لتبقى معاصرة. فميتافيزيقيا اليوم ليست ميتافيزيقيا أرسطو. فميتافيزيقيا اليوم تروج، على سبيل المثال، بـ "العوالم الممكنة" possible world التي يستند وجودها على مجموعة من أدلة المنطق الكبيرة والقوية،



التي ما كان لأرسطو أن يتخيلها. فميتافيزيقيا اليوم تحوي أفكاراً مثل التابعية[١] supervenience التي تُستخدم، بالإضافة إلى أشياء أخرى، لتفسير العلاقة بين العقل والمخ والعلاقة بين الوعي والعقل. ولكن بشكل أهم، ميتافيزيقيا اليوم تخصنا. فهي مكتوبة بلغتنا لنتداول أفكار القرن الحادي والعشرين بها. وهذا كل ما هنالك؛ هذا هو قصارى "التقدم". فالأفكار والنظريات جديدة أو معروضة بلغة حديثة، لكن لا يوجد تقدم حقيقي، البتة.

٤. إنكار المَرض الفلسفي anosognosia

ربما يعترض أحد بأن قضية مثل العوالم الممكنة والتابعية ومنطق الموجهات[٢] modal logic هي بالتأكيد تطورات في الفلسفة، فهي بدهياً تمثل تقدماً. [ثم يضيف:] **"في الواقع إن الفلسفة بشكل عام تحوي كثيراً من التصورات notions والمفاهيم الجديدة تماماً والمفيدة جداً. ولم يكن أرسطو يمتلك تلك التصورات، وهذه التطورات والمفاهيم القوية هي التي نفسر بها العقل والكون وكل شيء".**

لا بد أني قد تلقيت هذا الاعتراض عشرات المرات. والمدهش في هذا الاعتراض هو مدى ضعفه، وفي نفس الوقت كونه مصدقاً بحماسة. فإذا كانت كل هذه القضايا تمثل تقدماً فإين النظريات الفلسفية الصحيحة ؟ أين الاتفاق

---

(١) في الفلسفة، التابعية (Supervenience) هو مصطلح يستخدم لوصف العلاقة بين الخصائص، ولهذا المصطلح أهمية كبيرة في مجال ما فوق الأخلاق وفلسفة العقل، إذ يستخدم لوصف العلاقة بين الخصائص الأخلاقية والذهنية، لكل المجالين المذكورين على الترتيب، وذلك مع الخصائص الفيزيائية.

(٢) المنطق الطوري أو منطق الموجهات نوع من المنطق الذي يتعامل مع " المحتمل " و" الممكن" والذي يظهر في مقولات لغوية من قبيل: "من المتوقع" و"من المفترض" و"ربما".

العميق والشائع في العالم الفلسفي حول أي النظريات صحيح؟ ولا يزال الفلاسفة يخبرونني، بينما ينظرون لي شزراً، ويرفعون حواجبهم، وينتصبون جادين، بأن نظرية (س) صحيحة. والمشكلة، وأنت أيها القارئ تعرف هذا، أن (س) تتراوح ليس فقط بين نظريات كثيرة مختلفة، إنما نظريات غير متوافقة، بشكل ظاهر. وقد أُخبرت بأن نظرية كانت في الأخلاق (مع بعض التصويبات) صحيحة، ثم أُخبرت أن نظرية مِل (مع بعض التصويبات) كذلك صحيحة. وفي كلا الحالتين، فإن النظرية (س) التي قيل لي إنها صحيحة هي النظرية التي صادف أن مَن قال لي ذلك يعتقدها أو يعمل عليها (ولا مفاجأة هنا).

كيف يمكن للحقيقة الظاهرة بأن الفلسفة تنقصها النظريات الصائبة، أو على الأقل تنقصها النظريات التي تعتبر بشكل واسع صحيحة، أن تُنكر. كيف يمكن للحقيقة الظاهرة أن الفلسفة لم تتقدم قط أن تُنكر بشكل قاطع ؟

"إنكار المرض" anosognosia إعاقة ذهنية، حيث ينكر الشخص الذي يعاني من إعاقة أساسية أنه يعاني منها. وبعض حالات إنكار المرض مذهلة، حيث أن الإعاقة الأساسية واضحة وكبيرة. مثلاً، الأعمى أو المشلول ممَن يعاني من هذه الإعاقة، ببساطة، يُنكر أنه أعمى أو مشلول.

إن الفلاسفة حول العالم يعانون من مرض إنكار المرض. فإعاقتهم الأساسية أنهم يعملون في مجال علمي، لم يتقدم قط، ومع ذلك فأغلبهم يحصلون على أموال الدولة على شكل رواتب. وهذا يُحدث تناقضاً عقلياً وفيما يبدو من المستحيل العيش معه. ولذلك يتطور لديهم "إنكار المرض"، وبكل بساطة

ينكرون أن الفلسفة لم تتقدم قط. ويؤكدون أن الفلسفة تتقدم فعلاً، لأننا، في النهاية، الآن نعرف أن ... انتظر ... نظرية (س) صحيحة.

ويعاني الفلاسفة كذلك من إعاقات ذهنية أخرى. فهم يعانون من وهم العمق التفسيري illusion of explanatory depth. ووهم العمق التفسيري خطأ شائع يقع فيه الجميع، وذلك بالاعتقاد أننا نعلم عن شيء أكثر مما نعلمه في الحقيقة. فمثلاً، حاول أن تشرح كيف يعمل "سحّاب" الملابس zipper، أو البطارية (انظر Rozenblit and Kiel, 2002). فالفلاسفة (لكونهم فلاسفة) يعانون من نوع فظيع بشكل خاص من هذا الخطأ المعرفي. فبينما يمسك الميتافيزيقي المعاصر بنسخة مليئة بالتعليقات والحواشي من كتاب **أرسطو** ما بعد الميتافيزيقيا سيُسهب في الحديث عن نظرية (س) الحديثة في الميتافيزيقيا ولماذا هي صحيحة، حتى لو لم يصدقه أحد. وعلى الأقل فسحاب الملابس يعمل فعلياً، وكان هناك زمن ما قبل السحاب – فهو يمثل تقدماً تقنياً. وعلى الأقل، وهذا هو المهم، فإن شخصاً ما في مكان ما يستطيع أن يشرح لنا بتفصيل، وبشكل كامل، عمل السحاب.

وأخيراً، فإن الفلاسفة (لكونهم فلاسفة) يعانون من التفوق التوهمي Illusory Superiority، وهو تحيز ذهني يجعل الناس يبالغون في تقدير صفاتهم الإيجابية. ومرة أخرى، يعاني الفلاسفة من نوع شديد من ذلك. الفلسفة بشكل أساس هدامة. فمهما كنت تعتقد، بغض النظر عن مدى بدهيته أو أساسيته، وبغض النظر عن (مَن أنت)، أو أين تكون، أو متى، فهناك حجة فلسفية كبيرة أن معتقدك باطل. فليس هناك معتقد عميق أو تأسيسي لا تستطيع الفلسفة أن تنقضه (بما في ذلك مقولة [كوجيتو] ديكارت). وكثير من القابلين للتأثر



بالتفوق التوهمي يظنون أنهم أعلى من المتوسط، إلا أن الفلاسفة يعتقدون أنهم متفوقون جداً، بحيث يدّعون أنهم المعاكس تماماً لما هم عليه في الواقع: الهمج المُخربون للعالم الفكري. أو بتعبير أفضل: الكويكب الذي بحجم جبل إفرست القادم والمندفع بسرعة اتجاه ما يقدّره الناس المحترمون all that decent people hold dear.

٥. الفلسفة والمُعترفون بالمرض Nonsognosiacs

المعترفون بالمرض Nonsognosiacs يعلمون أنهم يعانون من مرض أو إعاقة ما (المعترفون بالمرض كلمة من اختراعي). فكما رأينا، هناك بعض الفلاسفة الذين يعلمون فعلياً أن الفلسفة لم تتقدم قط، أو على الأقل حذرين من ادعاءات التقدم المهم. واثنان منهم هما **توماس ناجل** Thomas Ngel و **كولين ماجين** Colin McGinn. فعملها المهم في هذا الموضوع على التوالي: The View from Nowhere (1986) و Problems in Philosophy (1993). وإليكم، باختصار شديد نظريتاهما.

يجادل **ناجل** أن المشكلات الفلسفية غير قابلة للحل بسبب التفاعل المتضاد لوجهتي نظر ضروريتين وحتميتين: وجهة النظر الموضوعية، ووجهة النظر الذاتية. فعلى سبيل المثال، من وجهة النظر الذاتية يبدو أننا نمتلك إرادة حرة، لكن من وجهة النظر الموضوعية يبدو أنه ليس لدينا الإرادة الحرة، بل تتقرر سببياً مثل أي شيء فيزيائي.

ويعمل العلم بحسب رؤية **ناجل** لأنه يُتناول من وجهة النظر الموضوعية. فرغم أن وجهة النظر الذاتية حقيقية، إلا أنها تُتجاهل في العلم، حتى عندما يدرس علم الوعيِ – الشرط الضروري لوجهة النظر الذاتية – فإنه يدرسه من وجهة النظر الموضوعية (وبالبداهة، ليس بنجاح كبير). والعلاقة بين صفة العلم المهمة من كونه عاماً وممكن الوصول له من الجميع مرتبط بقوة بكونه ممارساً فقط من وجهة نظر موضوعية.

ويجادل **ماكجين** أن المشكلات الفلسفية غير قابلة للحل بسبب الطريقة التي تعمل بها عقولنا. فعقولنا [مصممة] بشكل أساس لمعرفة العالم. فهي تعمل بفعالية حيث يمكنها أن تلاحظ/ تميز discern مجالاً من العناصر البدائية primitive التي تؤدي توليفة منها إلى مجاميع أو بنى معقدة متولدة عن العناصر البدائية. المشكلة أن المشكلات الفلسفية ليست سهلة الانقياد لهذا التصور. كل المشكلات الفلسفية سهلة tractable من حيث المبدأ، لكن ليس لنا. فالأمر كما لو طلبنا من سلحفاة أن تجري سباق المائة متر في أقل من ٢٠ (أو حتى أقل من ٦٠) ثانية. أو أن نطلب من قرد شمبانزي أن يعرف كيف يجمع بين نظريتيّ النسبية العامة وميكانيكا الكمّ في نظرية واحدة قابلة للاختبار.

وبناء على رؤية **ماكجين** يعمل العلم لأن استراتيجية **"من أسفل إلى أعلى"** التي تفضلها عقولنا قابلة للتطبيق على العالم العادي: الفيزياء والكيمياء والأحياء، وحتى علم النفس يبدو أنه يعمل بهذه الطريقة[١].

(١) "إلى حد كبير، إن عدم يقينية الفلسفة أكثر ظهوراً من كل حقائقها" مشكلات الفلسفة، (رسل، ٢٠١٧) ٣٠١.

٦. الفلسفة: تنوع من النسبية a riot of relativism

تبدو نظريتا **ماكجين** و**ناجل** مختلفتين، إلا أن الفحص المتمعن لهما يُظهر أنهما تنوع لفكرة واحدة. ومن هنا سنرى أنهما في الحقيقة متناقضتين.

من المهم لرؤية ماكجين فكرة أنه وإن كنا لا نستطيع حل مشكلات الفلسفة، إلا أنها في الحقيقة قابلة للحل، على الأقل من حيث المبدأ (1993, chs. 8 and 9, esp. pp. 128ff and 135-156). وهذا ليس مجرد إمكانية منطقية، إنما هو إمكانية فيزيائية [واقعية] (ممكنة في هذا الكون، فبالتأكيد هو يعتقد أن جوانب من أدمغتنا قد حلت في الحقيقة بعض الفلسفة الرئيسية لمشكلات العقل، لكننا لا نستطيع الوصول إلى تلك المعرفة المزعومة، pp. 135-143). ولذلك هناك من حيث المبدأ، مجموعة من قدرات مادية [محسوسة] معرفية وذهنية يمكن أن تحل المشكلات الفلسفية. هذه المجموعة من القدرات تكوّن طريقة للحكم[١] point of view والتي من خلالها يمكن حل المشكلات الفلسفية. فالبشر فقط بالصدفة لا يتلبسون بطريقة الحكم الصحيحة، أي يكون لديهم القدرات العقلية الصحيحة، لحل المشكلات الفلسفية[٢]. فرؤية ناجل هي بشكل مباشر عن تغيير طريقة الحكم. ولذا فكل من نظرية ماكجين ونظرية ناجل عن لماذا لا تتقدم الفلسفة قائمة على طريقة الحكم.

---

(1) Way of judging a situation based on a particular aspect / your personal judgement or view قاموس ماميلان > a particular way of considering or judging a situation – Oxford التفكير = طريقة النظر / طريقة حكم

(٢) يقول رسل في (مشكلات الفلسفة) ص ٣٠٢: "هناك أسئلة كثيرة – ومن بينها تلك التي تحتوي على أعمق الأهمية فيما يتعلق بحياتنا الروحية – والتي، كما يمكننا أن نرى حتى الآن، تظل مستعصية الحل على الذكاء البشري ما لم تصبح سلطاته [كذا ولعلها قدراته] ذات نظام مختلف عما هي عليه اليوم".



وبالتسليم بهذا التشابه، فمن السهل الآن رؤية أن هاتين النظريتين متناقضتين.

تقول نظرية ناجل:

هناك ثلاث طرق للحكم point of view. من طريقة الحكم الذاتية نحصل على مجموعة واحدة من الإجابات لأسئلة فلسفية، ومن طريقة الحكم الموضوعية نحصل على أخرى، وعادة مناقضة، ومن طريقة حكم ثالثة، والتي يرى الشخص من خلالها إجابات طريقتي الحكم الموضوعية والذاتية، فيمكن له ساعتها رؤية تساوي الأجوبة الذاتية والموضوعية في الصدق valid وفي الصحة true. لذا فالمشكلات الفلسفية مستعصية على الحل. فالفلسفة لا يمكن أن تتقدم لأنها لا تستطيع حل تلك التناقضات.

تقول نظرية ماكجين:

هناك طريقتا حكم ذواتا علاقة. من إحداهما، وهي رؤية الإنسان: فإن مشكلات الفلسفة غير قابلة للحل. ومن الرؤية الأخرى، رؤية المغترب، المشكلات الفلسفية ممكنة الحل (وربما سهلة، انظر .ch. 8, op. cit) . فالحالة هنا هي نفس حالة الكلاب مع اللغة الإنجليزية. فنحن نفهم اللغة بسهولة. بينما الكلاب لا تفهم إلا القليل جداً من الكلمات، ويبدو أنها لا تعلم شيئاً عن التركيب التوافقي [الاندماجي] combinatorial syntax. ولذا، ومع أنه من غير المحتمل أنه يمكننا حل أي مشكلات فلسفية، إلا أنها ليست مستعصية على الحل بطبيعتها. وعندئذ نرى أن ناجل يرى أن [مشكلات] الفلسفة غير قابلة للحل بطبيعتها: فأي ذكاء إنساني، كائن واعي سيكون عالقاً [متورطاً] في الفلسفة، بشرط أن يفكر في أي منها. ويوجد هناك طريقة حكم يمكن رؤية هذه



الحقيقة من خلالها. ماكجين ينكر ذلك. فهو يعتقد أن الفلسفة هي فقط غير قابلة للحل داخلياً [محلياً] locally. فالكائنات الأجنبية يمكن أن تجد بسهولة المشكلات الفلسفية بدهية الحل. هناك طريقة حكم من خلالها تكون المشكلات الفلسفية قابلة للحل.

ناجل وماكجين بالطبع يمارسان فلسفة فوقية metaphilosophy. وبشكل معقول تُعد الفلسفة الفوقية فلسفة. ولذا فلدينا هنا حالة باراديمية paradigm case تعرض صفة تشترك فيها الفلسفة مع العلم: منظّران يختلفان حول تفسيراتهما (في هذه الحالة عن لماذا لا تتقدم الفلسفة أو لا تستطيع أن تتقدم). ولكن بما أن هذه فلسفة، فنستطيع أن نتنبأ بأنه لن تتغلب واحدة من النظريتين [على الأخرى]، حتى في عقول الأجيال القادمة.

لكن انتظر! أليس هذا غير صحيح؟ إذا ظهر غريب من الفضاء وأعطانا الحل لمشكلاتنا الفلسفية، فسيتم إثبات صواب ماكجين وخطأ ناجل. لكن ماكجين ينكر أنه يمكن أن يحدث ذلك: فلن نفهم حلولهم. مرة أخرى، فكر في إعطاء الكلاب حلنا لصنع لعب الكلاب (المصانع، مواد صناعية، ألياف غير ضارة، بلاستيك إلخ). فلن تفهمها الكلاب، وهذا أقل ما يقال. والحجج، على أي حال، هي حول ما يجب أن تعتقد الآن. وبالطبع، يمكن أن نستيقظ غداً بفهم مفاجئ لمشكلة الإرادة الحرة / الجبرية. لكن إن سألنا اليوم ماذا يكون الفهم، فلن نفعل إلا ممارسة الفلسفة ولن نصل إلى أي مكان.

إذن ناجل وماكجين يمارسان الفلسفة، وبناء على ذلك فلن نعرف أيٌّ من نظريتيهما صحيحة، إذا كان أي منهما كذلك. فمن وجهة نظر ناجل فالانقسام



بين الذاتي والموضوعي عسير الحل، وهو أصل كل الفلسفة وعسرها. ومن وجهة نظر ماكجين هناك وجهة نظر من خلالها تكون مشكلات الفلسفة قابلة للحل، وفي الواقع، تصبح محلولة.

أرى من مكاني الصدام بين نظريتي ناجل وماكجين على أنه صدام بين وجهات النظر تعممه نظرة ناجل: كل مشكلات الفلسفة، وفي الحقيقة، [بالتأكيد] أي شيء يبدو مثل تقدم فلسفي يمكن أن يُعرض على أنه صدام بين وجهات النظر في قضية محددة. فمن طريقة حكم نحصل على إجابة، ومن رؤية أخرى نحصل على إجابة ثانية، وعادة مناقضة. وتحدد نظرية ناجل طرق الحكم هذه لوجهات النظر الذاتية والموضوعية، لكن التحديد يمكن أن يُخفف.

على سبيل المثال، تأمل حالة مشهورة من تاريخ الفلسفة. منذ وقت مضى، كان يُعتقد أن كل الحقائق الضرورية يمكن معرفتها قبلياً. فإذا كانت أ = ب حقيقة ضرورية، فإنه يمكن معرفتها دون بحث للعالَم. لكن الأشياء البَعدية الصحيحة مثل الماء = H_2O والتي لا يمكن معرفتها دون استكشاف العالَم، يجب أن تكون صحيحة إمكاناً[١]. ومفهوم هوية الممكن[٢] كان متفقٌ على نطاق واسع على صحته، ووجد توظيفاً مستمراً في فلسفة العقل، حيث دعمه المذهب الفيزيائي. وفي عام ١٩٧٠م غيّر **ساول كريبكي** كل ذلك بتوضيح أن الهويات الممكنة ليست عادة شيئاً هذا القبيل.

---

(١) تعني Contingent: مجموعة لهم استقلالية، متوقف على.. [الممكن مقابل الضرور = واجب الوجود].

(2) Contingent: Something is contingent if either (i) it does in fact exist but need not have or (ii) it does not in fact exist, but it could have.

وبافتراض أن "أ" و "ب" أسماء لأنواع معينة (ما سماه **كريبكي** المحددات الصلبة rigid designators[1] – الأسماء التي تعين نفس الشيء في كل العوالم الممكنة)، فإذن أ = ب يجب أن تكون ضرورية. عادةً "أ" و "ب" محددات صلبة. لذا، وفقاً **لكريبكي** فالهويات في العادة ضرورية، والهوية الممكنة نادرة تكاد تختفي. وبالتالي، يجب أن يكون هناك حقائق ضرورية، مثلا، الماء = H2O، التي يمكن معرفتها فقط بَعدياً. وإحدى الحجج التي استخدمها **كريبكي** ضد الهوية الممكنة هي الآتي. فكر في طاولتك. أنصار الهوية الممكنة مغرمون بقول أشياء مثل: **"كان يمكن أن تكون الطاولة مصنوعة من الثلج، لكنها ليست كذلك، ولذلك فإنه صحيح إمكاناً أن طاولتك مصنوعة مما هي عليه، الخشب، مثلاً؛ ومن ثم يوجد هوية ممكنة هنا"**. لكن، كما أوضح **كريبكي**، فهذه الطاولة (هنا أنت تشير إلى طاولتك) لم يكن من الممكن صناعتها من الثلج، هذه الطاولة مصنوعة من الخشب. لو كانت طاولتك مصنوعة من الخشب لما كانت لتكون هذه الطاولة. وباستخدام اسم الإشارة (هذه) فإن **كريبكي** كان يغير طريقة النظر في النزاع حول الهوية الممكنة: فكان يجبر القارئ على التفكير في هذه الطاولة بعينها، بدلاً من طاولة تعتبر فقط تحت الوصف "طاولتي". وجهة النظر **الكريبكية** (ك) لهذه الطاولة بعينها تركز نظر القارئ على الطاولة بوصفها شيئاً بنفسها، بدلاً من الطاولة بوصفها تقع تحت وصف ما، مثل "طاولتي"، حيث عليها أجلس وأكتب. ومن المنظور (ك) فإن الطاولة تُدرك بمعزل عن كل الأوصاف، بينما من المنظور الوصفي تُدرك الطاولة تحت الوصف. وبشكل أساس، فقد أوضح **كريبكي** أن أنصار

(1) Kripke's Theory of Proper Names and Rigid Designators



هوية الممكن كانوا مخطئين بالتفكير فقط بالأشياء التي تحت الوصف، ولم يفكروا قط في الأشياء كما كانت في نفسها وبنفسها. إن منظور **كريبكي** كان له أثر هائل في الفلسفة، لكنه ليس تغييراً بين المنظور الذاتي والموضوعي كما تتطلب نظرية **ناجل**. فأمثلة مثل المثال **الكريبكي** توجد في كل مكان في الفلسفة، وهي مسؤولة عن الكثير منها. ونستطيع أن نرى إذن أن هناك طرقاً أخرى للنظر صاحبة تغيير حاسم للفلسفة أكثر من تلك التي بين المنظور الذاتي والمنظور الموضوعي. والتغير بين منظوري **ناجل** و**ماكجين** مثال آخر (للمزيد من هذا المثال انظر Dietrich and Hardcastle, 2004, esp. ch. 6). (يجب أن أوضح أنه بقدر ما كان نقض **كريبك** للهوية الممكنة جاذباً ومهماً، فقد عادت هوية الإمكان (انظر مثلاً، Gibbard, 1975)، وهذه طبيعة الفلسفة. وإلى هذا التأريخ فكلا المقاربتين للهوية قائمتان وتتدافعان، طبيعياً).

الفلسفة إذن تنشأ بوصفها تنوعاً a riot من النسبية. فالرؤى التي تتعارض بشكل صريح كلها معقولة بنفس القدر. فكل ما على الإنسان أن يتبنى طريقة الحكم الصحيحة [الصواب] right ليرى أولاً إجابة واحدة لمشكلة فلسفية ثم، بتبني طريقة حكم أخرى ليرى الإجابة الثانية المعارضة.

هناك الكثير من العمل الذي يجب أن يتم في موضوع طرق الحكم، عمل مطلوب قبل الغرابة weirdness التي هي الفلسفة يمكن أن تفسر وتُفهم. لكننا الآن نعلم هذا جيداً: في الفلسفة وجهات النظر المتصادمة لا يمكن تفاديها، ووجودها هو الحقيقة الوحيدة. ولذلك فالفلسفة لا يمكن أن تتقدم.

(طرق الحكم لا تزول عندما نمارس العلم. لكن كل الرؤى ذات العلاقة ترتبط بنفس العائلة، ولذا تنتمي وتتعاون على الأقل على المدى البعيد. إنه من الصعب جداً وصف تلك العائلة، إنها ليست فقط عائلة طرق الحكم الموضوعية، مع أنها ذلك. العلن public، إمكانية الإعادة والموضوعية، مصطلحات فقط تصف جزئياً هذه العائلة. (أرجو أن أجد ما أقوله حول هذا في المستقبل).

٧. من يفهمني في النهاية يُقر بأني مصيب.. ومخطئ

في الفقرة ٥٤-٧ من كتاب فتجنشتاين رسالة منطقية فلسفية Tractatus يقول:

"قضاياي واضحة بهذه الطريقة: من يفهمني في النهاية يقوم بتعريفها [يقر بها] recognizes them **على أنها بلا معنى** senseless، **عندما يتسلق خلالها وعليها وفوقها (يجب عليه، بعبارة أخرى، رمي السلم بعيداً بعد أن يتسلق عليه".**

فما لا نستطيع الحديث عنه يجب أن نمر عليه بصمت.

نفس الشيء ها هنا، وأنا صامت مثلما كان فتجنشتاين. فشرحي لماذا لا تتقدم الفلسفة ولا تستطيع أن تتقدم - (وجهات النظر المتصادمة لا يمكن تفاديها في الفلسفة) - هو نوع من الفلسفة. ولذلك، بالطبع، فلن تُقنع المصابين بداء إنكار المرض. ولن تقنع أيضاً من يقرون بالمرض، مثل ناجل وماكجين، الذين تختلف نظريتهما عن نظريتي (واتحاد هاتين المجموعتين ربما يكون كل أحد إلا أنا). ولن تُعرف أبداً حقيقة لماذا لم تتقدم الفلسفة قط.



ولزمن طويل من الآن، وبعد ذهاب البشر، ربما ستبقى طرق الحكم. وربما ستظل ذكاءات فائقة موجودة – ظرف كافٍ لطرق الحكم. وربما ستوجد في مكان آخر في الكون، ربما سنكون قد أوجدنا أحفادنا (Dietrich, 2007). وبغض النظر، يمكن أن نكون متأكدين من هذا: إذا كانت وجهات النظر لا تزال موجودة فستبقى الفلسفة – نفس الفلسفة عينها التي نتصارع معها الآن، وعين الفلسفة التي تصارعنا معها في كل القرون الماضية.

* * *